رشاد الدهشورى

حارس الليل

قصص قصيرة

صدرت الطبعة الأولى فى إبريل 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : حارس الليل

المؤلِّف : رشاد الدهشورى

التصنيف : قصص قصيرة

رقم الإيداع : 8877 - 2019

عدد الصفحات : 106 صفحة

رقم الإصدار الداخلي: 393 – الطبعة الأولى إبريل 2019

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

ALNILE WAALFORAT

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

ثورة مصرية تشرق إبداعا على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

الإهـــــــداء

**إلى أهل قريتى (الأخماس)أجمل ناس

**إلى روح أبى وأمى فى الرفيق الأعلى

**إلى أبنائى محمد ويوسف،

**إلى أجمل زهور البستان نبضات قلبى نادية وإيمان

ميلاد

عندما يرفرف القلم بين أصابعى لحظة ميلاد الحروف

أرسم صورتى واضحة تماما وصور آخرى باهتة بها بعض من ملامحى

أشعر نـهم القلم .

أرضعه افكارى وحبله السرى لم ينقطع.

أضحك من سزاجتى..أقطع حبله السرى فى غفلتى فيقضم صدرى بأسنانه ،يحبوا ويمضى بعيدا.

الكلمات فى رأسى خلية نحل تطن لاأستطيع أن أهشها ولا أستطيع النوم ...وحينما تعتلى ملكتهم عرش عقلى أحن إلى الشوارع..الحقول الخضراء ...النيل ..أصنع مراكبى الورقية وأقزف الحصى فى النـهر..

وأنظر وجهى فى الماء وأطن.

البرد

فتش جيوبه عن آخر جنيهات بقيت معه

البائعة غمزت بعينها وهى تتابع عينيه التى تقلب فى بضاعتها وصدرها البض الأبيض الذى إنكشف بعضه ، تأكدت من جوعه فابتسمت فى خبث ،ولما تأكد أنها ترقبه أحس بالخجل أدار ظهره وانصرف .

ولما عاد وجد زوجته تصرخ وتولول

"اتصرف يا راجل ..شوف لنا مكان غير الأوضة دى ..أنا كل ما ادخل الحمام الاقى عين راجل بتبص على جتتى"

إندفع الدم إلى نافوخه وإحمر وجهه وكأنه جمرة نار ،وصع كفيه على وجهه وبكى.

تذكر يوم ماتت أمه وهى ترتجف من شدة البرد

غطاها "بحرام "مصنوع من صوف الغنم وأشعل بعض قطع الخشب الجاف وجلس حتى صفت النار وانقطع الدخان تماما ادخل الموقد إلى الغرفة وجلس بجوار أمه يدفئها حتى نام بجوارها وفى الصباح ماتت ،ولما ذهبوا بها الى المقابر ليدفنها تصدى عمه للجنازة وأقسم بغليظ الأيمان ألا تدفن فى مقابرهم وأقسم أن أبوه ليس له فى المقابر وأن هذه المقبرة له وأولاده فقط وأنه إشتراها من ماله ،يومها جن جنونه وكاد أن

يفتك بعمه لولا تدخل أهل القرية ودفنوها فى مقابر أهلها.وبعدها أقسم أن يترك القرية إلى الأبد .

سنين وهو يبحث عن دار على قد الحال يشتريها .أمنيتة أن يجد ولو غرفة تحتويه وزوجته وولده الذى يحبوا.

وتذكر يوم جاء إلى هذه الغرفة .

قالت له صاحبة المنزل أن الثلاث غرف الآخرى مؤجرة لعمال غرباء وأن العمال الغرباء يعيشون بلا نساء .كان مضطرا فوافق

كل يوم يمر اشد بردا من ما مضى وكأن أيامه كلها شتاء.

همس لزوجته" نفسى استحمى زى الناس"

زوجتة تهمس ..(ما تزعلش ..غصب عنى ...كل يوم الاقى شحط منهم فى الحمام وأنا تعبت والبرد نهش جسمى وهد قوتى، نظر الأرض وراح يهمهم

لم يتمالك نفسه وضع يدة على فمه وراح يتقيء ويصرخ .. اااةةةةةةةةةةةةةةةةةةةة.

....

لأول مرة يجد أبواب الغرف المؤجرة مغلقة باقفال

همست زوجته فى فرح .."الجو هادى ومافيش ولا شحط منهم هنا تعالى "إحمر وجهه فرحا ،له أكثر من شهر يعيش فى قلق بسبب هؤلاء الغرباء ساكنى تلك الغرف.

همست " تتغدى الأول ولا تيجى ننام شويه"

قبض على زراعها فرحا واندفعا ناحية الغرفة

صعقته المفاجآة ،العمال الغرباء الثلاثة فى غرفته ومعهم صاحبة الدار.

وقبل أن يفتح فمه صرخت فى وجهه
"انت من الشهر الجاى تشوفلك مكان غير الأوضة دى ..ده سكن عزاب ..وأنا مشهحط النار جنب البنزين".

لم يجد فى فمه ريقا يبتلعه حتى لسانه أحس أنه ليس فى موضعه،
خطف طفله النائم من السرير وقبض على يد زوجته وانطلقا.

.....
أسند كتفة للحائط المبنى من الطين اللبن (الطويف) وراح يتفحص المكان بعينيه
قال صاحب الدار:

- سيقول لك أهل المنطقة أن الدر مسكونة بالعفاريت لاتصدق أحد

انت رجل مؤمن "ما عفريت الا بنى آدم "

-"اوضة ومطبخ وعندك أربعه متر براح إعمل فيهم بيت الأدب لما ربنا يدبرها".
"-الدار دى لاجار يغلبك ويناكف فيك منك للغيطان والزرع".

همست الزوجة وهى تتقافز من شدة الفرح.

خلعت قرطها الذهبى ودسته فى يد زوجها .

" لاتخاف .اشترى الدار"

إبتسموا وقرؤا الفاتحة
راحت تدور فى الغرفة ..تتحسس جدرانها جدار جدار.بينما تخير الزوج مكانا وراح يحفر ..ثم صرخ فى زوجته ان تمسك معه انزلا برميلا فارغا الى الحفرة وصنع جدارا من البوص وليسه بالطين الناتج من الحفر ..ثم خلع سرواله وقضى حاجته

ووقف يتأمل ما هو فيه .
صرخت الزوجة فرحة .

-- اخيرا بقى لينا بيت أدب
وفى المساء اشعلا راكية نار

وجلسا يدفعان البرد
همس لها

--" اية رئيك بقى الأوضة دفى وتفرح"
إبتسمت وهى تهدهد وليدها .

"نام يا حبيبى نام وادبحلك جوزين حمام"
همست.

"الواد نام"

همس .."انا بردااااااااااااااااااااان"
ضحكت ..."النار قدامك اتدفى يا راجل"
أخذ الولد ..ضمه إلى صدره ..ضغطه بشدة ..ثم وضعه فى ... الفراش
تمددت إلى جوار ه ..همس وهو يضمها إلى صدره

أخيرا أصبح لنا بيت نعيش فيه .

همست له

"لأول مرة فى حياتى أحس أننى إمرأة وأن لى بيت"
ضغطها فى صدرة ...زامت وعينيها على جمرات النار المتوهجة فى الموقد.

" النار، النار ياراجل نسينا نطفيها".
.همس وهو يداعبها:
_"انا سأطفئها "
ضحكا وكأنهما لم يضحكا من زمن بعيد ...



شيء من القلق

فى قريتنا كنا نقتسم الخبز والحليب والفرح والحزن.

الآن لم يعد ثمة خبز نقتسمه ولا حليب ،فقط الحزن ،الحزن وأشياء أخرى.

الأرض تصحرت ..لفظت ملحها فى وجوهنا والزرع تقزم ،حتى النساء فى قريتنا بهتت جلودهم واصفرت براعم وجوههن وغارت عيونهم إلى محاجرها
لم تعد ثمة عصافير تغرد ولا حمائم تهدل فقط أغربة سوداء تنوح،تجرأت حتى كادت تنهش لحم البشر.
بالأمس مررت بالشارع الرئيسى ،الأعمدة مطفأة وأشباه شباب منكسى الرؤوس ودخان أزرق يخرج من انوفهم ومؤخراتهم.

كلما أدرت مؤشر الراديو تصدمنى أغانى غريبه وموسيقى أغرب وكأنهم يدقون نواقيس الحرب.
فى التليفزيون رقص ورقص ورقص،قتل وقتل وموت وأقزام يتحدثون عن سبب إنقراض الديناصورات وراقصة تتحدث عن الديمقراطية والوطنية وشاذ يتحدث عن الدين.ومخنث يقدم

للناس وصفة للرجولة وثمة مجانين يجعرون ويسوسون العالم قناة الأخبار:

- "وصول الف كلب أمريكى لحراسة صناديق إنتخابات الرئـاسة."

أمى تسألنى:

"إنتخابات رئاسة واحنا عندنا رئيس".ثم ضحكت"

- " اللى نعرفه أحسن من اللى ما نعرفووش."

سألت أمى ..ما رئيك فى الرئيس مبارك؟.

قالت:

-"أيوة يا بنى مش هو اللى عملنا معاش السادات؟"

أحسست غصة فى حلقى وترحمت على السادات الذى يشبه أبى.

فى منتصف الليل تماما خرجت هاربا من حر الصيف أدور فى شوارع القرية بحثا عن أنيس أصابتنى دهشة ،غالبية بيوت القرية فيها حركة غير عادية،شيىء من القلق.

عندما مررت على بيت حسن الفتوة.سمعت زوجته تصرخ فيه ،تلعنه وتلعن اليوم الذى تزوجته فيه.

---" روحنى لأهلى أحسن"

كان ذالك صوت حميدة بنت المعلم على أبو شنب..

كل بيت أمر بجوارة أسمع أنينا وبكاءوكأنها نوبة من الحزن

حطت على قريتنا.
فى الجرن وعلى كومة كبيرة من الرمل الأبيض وجدت غالبية رجال القرية فى فرار جماعى من زوجاتهم، يدخنون البانجو وقد إلتوت وجوههم يتحدثون عن غلاء الأسعار وما حدث للبلد من سعار وعن الثورة وما أنتجته من هم ووهم ودمار ...
لما جاء"عبدة الحلاق" بدراجته تهللت وجوههم.
--"سبع ولا ضبع؟؟؟"
--"إوعى تكون جايب حاجة مضروبه؟"
رد عليهم فى رباطة جأش:
" -أمريكى ،حاجه اصلى"
وأخرج من حقيبته علبة زرقاء مرسوم عليها كلب ضخم ،صخم فى كل أعضائه
وراح يوزع عليهم كل واحد حبة ،منبها عليهم
"---تاخدوالحبة على معدة فاضيه وتضرب كوباية شاى وهيبقى الواحد فيكو زى الحمار الوحشى."
رد عليه سيد الخرع:
" -هى حباية هتعمل إية أنا عاوز خمسة"
رد عليه عبدة الحلاق:
" -قوم شوف مراتك يا خرع ،قوم لاتسيبك وتهج قوم بس ترفع راسنا"وإنفجر الجميع فى نوبة من الضحك الهستيرى وراحو

يتمرغون فى الرمال من شدة الضحك .
أحسست دوارا فى رأسى تزكرت أن زوجتى فى إنتظارى ،إنتفضت مدهوشا، وعدت أدراجى.
رحت أطرق باب دارى ،فتحت زوجتى الباب وقد تورمت عينيها من البكاء ..

فقدان الوعى

أشعل عود ثقاب ،تأمل الشرر .الوهج .اللهب أشعل سيجارة يحدق فى جمرها وهى تأكل فى القلب وتوغل فى التبغ ،الدخان الأبيض يدور حول جمجمته ويعاود الدخول إلى الأنف والأذنين ،ينفث الدخان فيدور حول اللمبة المعلقة فى السقف كخفاش فيرسم أشكالا خرافية ..

فى بلاد النفط راودته التى هو فى بيتها عن نفسها وغلقت الأبواب ولوحت فى وجهه بعقد عمل دائم و هى الكفيل .

لما تحسس الدولارات هم بها وهمت به لولا أن رأى سيدها فى الغرفة المجاورة يقبل خادمته الفلبينية بين أسنانها إبتلع لسانه وأحس أعضائه تنكمش إلى الداخل ،تذكر نصيحة ذالك السفرجى النوبى الذى أتى إلى هنا فى سن العشرين والآن هو فى الستين من عمره يضاجع الأوجاع وآلآم الغربة المزمنة .

-- "خلى بالك يا ولدى فى البلد دى الست تجيب رجلك فى الخية وبعدين ترميك زى عقب السيجارة "

إبتسمت الأميرة وفكت عنه قيود الخجل..

ـــ "تعالى انت شاب لك مستقبل"

ظل طوال أسبوع يراود نفسه عنها لولا أن شاهد جمهرة قصاص والسياف يلكز المتقرفص فى وسط الحلقة وفى لحظة مباغتة ينتزع جمجمته.

رغم عودته من بلاد النفط من عدة شهور لازال العرق يلوث ملابسه وتلك الذكريات تلوث أفكاره والدم المنزوف من الجسد الذى فقد رأسه لما ضرب السياف عنق المتقرفص فطارت الرأس فى الهواء كالكرة واندفع الدم كنافورة واندفع الماء الساخن فى سرواله ،الرجفة لم تعد تفارقه تراقصه كإمرأة قبيحة تزلزل عظامه .

الشهادة الجامعية أرخص من ورق البفرة الذى يلف به الحشيش

.فى السفر سبع فوائد وسبع مصائب أيضا

البنت التى وهبته تفاحتيها واعدها لمشاهدة فيلم صعيدى بيحلم . طوال الفيلم ملتصقة به تتمنى لو يقطف تفاحتيها لكنه كان يحلم بفرصة لكسب الخبز .

قرأ عن الجن والشياطين ونام فى الأماكن الخربة منتظرابليس ليأخذه الى عالم الخيال .لكن ابالسة الانس حاوطته ومزقت أحلامه .

فى الليل يتسلق ليصعد إلى القمر لكن الجازبية تجره إلى السحيق.

حاول تقليد الطيور فوجد العالم كقفص كبير أبوابه إلى الجحيم.

الرجفة تنتابه"يرتعد بشدة كلما واجهته البنت بتفاحتيها يقسم لها أنه صائم و فى فمه بقايا ثمرة نيئة .

أمه ترتق أحلامه وتعجن له الحناء بماء الكبرياء،تحنى جروح قدميه لتلتئم تضع يدها الدافئة على صلعته وتبتسم.

فى الطريق إلى قبر والدة شاهد أعمى يستعطف السائحين ليهبه أحدهم عينين

وشاهد فأر يلتهم قط مرعوب ودجاجة تطارد ثعلب.

النياشين تلمع على صدر والده والرتب العسكرية على كتفيه داخل برواز قديم .

ووسام نجمة سيناء واضح جدا .

موسيلينى كان نفسه يحتل العالم ..معمر القزافى كان عظيم جدا لكنه مرووش شويه ..نتنياهو بيحب أكل الحمام العربى .

فى حرب أكتوبر عبرنا القنال على جسر من حثث الجنود المساكين وإرتفع علم مصر فوق سيناء وارتفع معدل اليتم والفقر وإرتفعت أرصدة الجنرالات فى بنوك سويسرا.

والدته تلملم بقايا ملابس والده الميرى وضباط سلاح المهندسين يجمعون نفايات الحرب وزكريات الألم.

لم يستطع البكاء لموت أمه .فقط كان يرتجف يشدة والماء الساخن ينساب فى سرواله ..

المرأة الباغية التى واعدها ليفرغ فيها قهره ودفع لها خمسةجنيهات إقترضهم.

لما نام جائته أمه فى المنام ،قطبت وجهها وقالت ..

"اللى يعمل كدة ما يبقاش إبن بطنى"

بصقت فى وجهه وارتدت أكفانها ومضت .

توضىء ليصلى لكنه إكتشف أنة نسى التشهد .

فوق سجادة الصلاة راودته الأميرة عن نفسها وقدت عليه ثوب السكينة من قبل ومن دبر

خرجت أمه من صورتها فى البرواز ،لكزته

"ليس للمؤمن من صلاته إلا ماوعى "

بعد أن انتهى صلاته إكتشف أنه نسى التشهد، وأجهش بالبكاء لما تأكد أنه نسى أن يتوضىء .

بعد أن كتب رسالة إلى من يهمه الأمر ،فقز من فوق كوبرى الجامعة وعلم إسرائيل يرفرف أمام عينيه على بناية عالية ،أغمض عينيه لتأخذه الدوامة إلى السحيق بحثا عن عزرائيل

أخذته الدوامة الى الشاطىء ليتأكد أنه ليس فى كابووس وأنه فقد أشياء كثيرة لكنه لم يفقد عينيه.

تذكر حكايات والده عن حرب الإستنزاف وحرب 73وساقه المبتورة والتى لايعرف هل دفنت أم إلتهمها كلب ..

الأميرة تمشى على وجه الماء،تراوده ليغرقا معا ،يمسح بقع الزيت من عينيه وصوت أمه يترددفى جمجمته .

"إخس عليك اللى يعمل كده ما يبقاش إبن بطنى "

صعد إلى منتصف الكوبرى ،إندفع بين السيارات والماء الساخن ينساب فى سرواله والرجفة تزلزله وعلم إسرائيل يلوح له من بعيد وأغربة كثيرة تحلق فى السماء ترقبه وكلاكسات السيارات فى عواء دائم ..

السياح يصوبون عدسات كاميراتهم الى صدره ..الى عينيه .الى علم إسرائيل ويضحكون والماء الساخن الذى ينساب من سرواله يزداد

يسجلون بفوهات كاميراتهم رجفة ساقيه .

سيارة مسرعة ترفعه فى الهواء

صوت الإرتطام يرج الكوبرى يزلزل السفارة الإسرائيلية القريبة ،يرعب الأغربة التى تحلق فى السماء تترقب .

ينزل من السيارة حارسان من البازلت،يلوحان بكرنيهات هوياتهم فى وجوه الجميع وفوهات مدافعهم الياعوزى .

عسكرى المرور يؤدى التحية العسكرية .

-‑"المرحوم هو اللى غلطان يا افندم "

السيارة تندفع ناحية السفارة وبعض الماره يمصمصون شفاههم

عجوز مصرية تخلع طرحتها الريفية فيظهر شعر رأسها الأبيض المصبوغ بالحناء ،تغطى الدم المعجون بالأسفلت ورجل مسن يمسك جريدة يومية قديمة يحاول تغطية وجه الشاب بورق الجرائد.

على غلاف الجريدة ..السادات يصافح بيجن.

إزداد عواء السيارات بينما صراخ سارينة سيارة الإسعاف لازال بعيدا ووجوه كثيرة ممطوطة تغمغم. .

جمهورية السودان الشجرة الخرطوم عام 2000



وغاب القمر

كلما أنظر فى المرآة أجده هناك..قابعا ينتظرنى... يمد يده المرتعشة يقتلع شعرة بيضاء فى شاربى ،يراودنى عن نفسه .يحكى بشغف عن أيام عنفوانه وشبابه, يهم بى وأهم به ...أفيق على ابتسامتها وكفها الصغير على خدى:

-"بابا ... ماما وحشتى هى مش هاترجع تانى؟؟"

اتظر إلى صورتها فى البرواذ المعلق على الحائط

ترجنى كلماتها وهى تحتضر:

خلى بالك من قمر ...لو بتحبنى..؟؟

غابت وغاب القمر من ليالينا..

- "بابا تلعب معايا كوتشينة"

تتشبس بيدى, تشدنى.

أتبعها فى فرح طفولى وأتركه وحيدا منزويا فى داخلى يفتش عن ضوءالذكريات..

شايب وبنت

أشاعوا أن الذئاب تفترس الناس

وأن هناك عصابات تخطف البنات.

قلبه الرهيف لم يطاوعه ترك بيته بدون حراسه .إدخر من قوت عياله مرتبا لذلك الدركى المكلف بحراسة القرية .

الناس فى قريتنا يصيبهم الهزال وذلك الدركى تصيبه سمنة عظيمة تجعله فى ملابسه الميرى مرعبا ووجيها.

البنت تجرى على السكك ترج تفاحتيها أمام عيون شباب القرية المكسورة عيونهم من التعب والفقر.

قالت قابلة القرية:

البنت لازم تتستر

البالونة تنتفخ يوم بعد يوم وكل أهل القرية يضعون أصابعهم فى آذانهم خشية لحظة الإنفجار.

ينظر فى وجهها يلمح أشياء كثيرة مسجونة .فقط نظرات عتاب

قال بإستكانة وشت عنها ملامح وجهه التعب

- والعمل !

لازم تقدر تواجهه هو بياخد فلوسنا علشان يحمينا"

واللى فى بطن البت دا إبنه"

- **إبنه إزاى هو إتجوزها !إمتى؟؟؟**
- **نقولوا للناس أنه إتجوزها**

البنت تبكى

-"هو متحامى فى البدلة الميرى والبندقية"

الام تصرخ فى وجه زوجها:

"-شرفك وعرضك .خلى عندك كرامة واجهه "

الأب ينتفض فجأة:

- **أنا مش هسكت ..أنا لازم أخد حق بنتى وإن شاء لله اموت.**

صوت طلقات الرصاص يقتل الصمت.

يتمرغ الأب فى دمائه

بينما ذالك الدركى يشير الى قوة الشرطة التى حوطت المكان

"هو دة الإرهابى ابن الكلب اللى بينشر الافكار الهدامة"



صقر بلا جناح

الطائرة تسبح فى الفضاء الرحب ،تغوص فى السحب الشتوية وثمة أسراب من الطيورتشق الصمت بأصوات مابين البكاء والغناء

وصقر يقرأ آخرخطاب وصل إليه من قريته البعيدة،يقرأ الخطاب للمرة العاشرة .

ولدى الحبيب "صقر" نحن بخير ولا ينقصنا سوى مشاهدة رؤياك والدتك تهديك السلام وهى بخير وهى تأخذ دواء السكر بانتظام، أختك"صابره"أ نجبت بنت تشبه القمر أسمتها "حبيبة" على اسم والدتك ، أعرفك أن بيتك الجديد تم الإنتهاء من تشطيبه ونحن فى انتظار عودتك على وجه السرعة . ملحوظة ،لاتحضر معك أى أدوية لوالدتك. معزرة يا ولدى لم استطع أن أسجل لك صوتها لآن التسجيل" معطل"

خالك شاهين

الأخماس14 أمشير .

شرد صقر بخياله للحظات

" ياه يا خال ،أ شعروجعا فى قلبى،ملعون مرض السكر الذى مص جسدك يا أمى ".

تردد صوتها فى رأسه:

"سافر يا ولدى ربنا يسترها معاك دنيا وأخرة"

تمنى لو أن له ريشا وأجنحة ليطير إلى قريته أ مه وحبيبته وبيته الجديد.

******

"من امتهن غير مهنته هان".

ألقى" صابر" سنارته فى الماء يرقب الغماز ، يهتز قلبه كلما اهتز ويغوص فى صدره كلما غاص فى الماء وأمشير يلقى أحجارا من البرد فوق رؤوس الناس ،يرتعد من البرد لكنه يزداد تشبسا بمقبض سنارته كلما ازداد عدد الأسماك فى سلته .

*****

أ فاق صقر على صوت مضيفة الطائرة

- الطائرةالآن تدخل سماء الوطن .

الصق وجهه بنافذة الطائرة وخيل إليه أنه فى بطن حوت كبير يسبح فى المحيط.

كان صوت المضيفة مرحا :

"حمدا لله على السلامه"

أحس بسعادة داهشة تموج فى قلبه ، حنين إلى الشوارع والغيطان والبيوت وأهل قريته الطيبين،تمنى لو يرفرف مع الطيور ليحلق فى سماء قريته ،سككها ونخيلها وصورة والدته وهى تعجن الحناء بماء الكبرياء تحنى بطون الأرانب والديوك .

،يرى وجهها فى كل الأشياء، فى الغيوم ونوافذ البيوت وزعف النخيل المبلول بماء المطر،الديوك المصبوغة أجنحتها بالحناء،الهداهد الموشومة بالبياض فى أجنحته

داهمه شلال من الحنين والخوف وكأن السحب الشتوية خرت فى عينيه فأغرقت وجهه بالدموع.

*****

امتلأ ت السلة بالأسماك والصياد يرقب سنارته فى فرح.

الأسماك تخرج رؤو سها من الماء تكاد ترقص وتبتسم وقد تخشبت يداه على مقبض السنارة وقفزت عيناه الى الماء حائرة

بين السلة المملوءة بالأسماك والسنارة النهمه والنهر الذى لا يود أن يتركه .

أمشير يجلد ظهره بسياط البرد ويرش فى عينيه تراب الشتاء.

أ حس بالدوار لكنه يريد المزيد من الأسماك .

****

هبط صقر من الطائرة تسبقه عيناه الى صالة الانتظار،مسحها بعينين خائفتين يحدق فى وجوه مملوءة بالخوف والترقب وكانت الأمطار تضرب الأرض بوهن.

ألقى جسده على أقرب كرسى وأغمض عينيه للحظات قابضا بكلتى يديه على علبة بها قرط ذهبى وأسورة ،شبكة حبيبته "ورده" وقرط آخر لأمه.

فتح عينيه ويدا تربت على كتفه:

- حمدا لله على سلامتك يا ولدى

كان ذلك صوت الحاج" شاهين " وارتمى صقر بين زراعيه والتصق بصدره:

- كيف حالك يا خال وكيف حال أمى ؟
- كل البلد فى انتظارك يا ولدى

كان صوت الحاج "شاهين "رهيفا واهنا على غير عادته.

*****

الصياد يشعر بألم يمزق مابين كتفيه، عقارب برد أمشير لدغته تسللت إلى عظامه.

الغماز يغوص فى الماء بشده، يغووص ويغوص ويغوص و"صابر" يحاول جذب السنارة دون جدوى

يحاول مرة أخرى متشبسا بمقبضها بقوه، السنارة تجذبه إلى الماء وهو يقاومها فرحا بصيده السمين.

*****

السيارة تلتهم الطريق إلى القرية وقرص الشمس ينظر من نافذة بالسحاب مرسلا خيوطا من الضوء على الزروع وحبات المطر المنثورة على زجاج السيارة وقد حدث للطيور نشاطا غير عادى فراحت تتقافز على جانبى الطريق وتتصايح وبعض الهداهد الموشومة بالبياض فى أجنحتها تنقر الأسفلت المغسول بالمطر .

عاد صقر بذاكرته إلى الوراء لصيف مضى من سنوات طوال

عند النهر الذى يخترق القريه ، جلس ينتظر "وردة" تلك البنت البضة الطازجة ولما جاءت إحتواها فى صدره ولقنها كل قوانين الحب ولما أبلغهاأنه مسافر،بكت بشدة وبكى معها ومرغ خده فى خدها فاختلطت دموعهما ..

كان الجو حارا وشمس الصيف ترجم الريف بالجمر وتعبث بالرؤوس، تشابكت الأيادى المشتعلة ونزلا معا إلى النهر ،غاصا فى الماء إلى الركبتين ،رش وجهها بالماء.

قالت وهى تضغط يديه بشدة :

-ا قسم ألاتسافر .

- سوف أعود.

-- سانتظرك .

أمسك يدها وأوصلها إلى معديه "زاوية رازين"........وتاهت مع الراكبين .

****

الصياد يحاول جذب سنارته ،قوة رهيبة تشده إلى الماء يقاوم ويقاوم ،تخور قواه فينزل إلى الماء محاولا جذب السنارة ،يغوص فى الماءحتى ركبتيه...حتى بطنه والسنارة تشده إلى

العميق،فيغوص فى الماء حتى عينيه متشبسا بصيده ويغوص ويغوص ويغوص .

*****

السيارة تركض بين ظلال الأشجار تسبح فى ماء المطر المرشوش على الطريق..

استدار صقر إلى خاله شاهين :

- "كيف حال أمى يا خال ؟لقد أحضرت شبكة "وردة "وستفرح أمى جدا بذلك .

السائق يغمغم بكلمات غير واضحة ومن بعيد تبدو القرية ببيوتها الطينية القميئة وأطفالها الحفاة يلعبون على جانبى الطريق وثمة بيوت من الطوب الأحمر بنيت حديثا .

السائق يحاول السيطرة على السيارة التى كتم أمشير أنفاسها بالتراب والمطر وهى تنحدر ببطء ناحية المقابر.

توقفت السيارة فجأة.

وبعض النساء المتشحات بالسواد يحاوطنها ، تحدقن فى وجه صقر وتصرخن .

صقر ينظر إلى المقابر برعب، تدهمه الدهشة ، ينزل من السيارة بين زراعى أختة الكبرى ..يدفعها عنة برفق ..ثم يغوص فى المقابر.

كانت الشمس تميل إلى الغروب وبعض ا لطيور تحلق ناحية الشفق المشتعل .

قرية الأخماس 1989

الضرب فى الميت

استيقظ شعيب المصرى من نومه، فتح عينيه الضيقتين غير مصدق،فرك كفيه، دعك عينيه جيدا ليتأكد أنه ليس فى حلم ،ها هومضجع فى ساعة القيلولة تحت شجرة الكافور العتيقة التى يستظل بها من قيظ الشمس.

حملق جيدا فتأكد أن أمامه حمارا حقيقيا وليس شيطان أو مارد،اقترب من الحمارتحسسه،حمار هزيل يتحرك بصعوبه، أجرب أكل الذباب خلف عينيه ،تحسس وجهه فى فرح،وضع ذيل جلبابه فى فمه وظل يجرى فى عز الحر غير عابىء بالأشواك المبعثرة والكلس الذى أدمى قدميه.

أحضر له بعض كيزان الذرة الشامية ،راح الحمار يلتهمها فى نهم غير عادى .

دار شعيب فى القرية كلها ،،خبط على كل باب يسأل عن صاحب الحمار،

قال له "محمد رمضان خفير القريه":

- "يا راجل يا أهبل د حمار أجرب لايشفع ولاينفع خسارة فيه الأكل "

ظل يدور فى القرية والحمار فى يده والعيال يزفونه ويضحكون.

"سلاخ الحمير أهوه سلاخ الحمير أهوه"

قال الشيخ قطب العجوز وهو يرمقه بعينيه ضاحكا:

- اللى جاب لك يخليلك يا شعيب ،،يحيى العظام وهى رميم ،،

قال صبرى خفير القريه :

- " دا حمار عدمان ،ده حمار جمعية الاصلاح الزراعى وقالو لى أضربه طلقه بين ودانه لكن أنا إستخسرت الرصاصه فيه..الضرب فى الميت حرام،،

قال إبراهيم المزين حلاق القرية:

- "خده يا شعيب أهو ينفع عشوة للعيال..هاههههه..حلال عليك."

فرح شعيب المصرى فرحا شديدا.أ خيرا سيمتلك حمار.

سحبه فى يده نزل به الى الترعة وحك ما به من جرب حتى سالت دمائه، راح يغسله بالماء والملح ثم دهنه بزيت أحضره من وابور المياه .

ظل يفعل ذلك كل يوم حتى شفى الحمار تماما وتغير لونه وأصبح فى صحة البغال ،ركبه فرحا ، دار به فى كل الغيطان ولف به فى كل الشوارع حتى يراه الناس ويعرفون أنه أصبح صاحب أملاك

ولما رأه "الشيخ كامل" ناظر القرية صرخ قائلا :

- شعيب سرق حمار الوسيه ولازم أوديه فى ستين داهيه

قال الشيخ قطب الطيب :

- "ياعينى ع الغلبان ،صحيح الكحكه فى يد اليتيم عجبه"

تناثرت الأخبار وتواترت حتى وصلت الى مدير الوحدة البيطرية والجمعية الزراعية وتم إستدعاء شيخ الخفراء وإتسعت دائرة التحقيق:

س - كلفتك الجمعية الزراعية والوحدة البيطرية بإطلاق النار على الحمار لأنه مصاب بالجرب فماذا حدث؟

قال صبرى:

- "الحمار كان شبه ميت.وأنا قلت ده هيموت لوحده."

س. الأوامر بتقول إذا مرض حيوان فى الحكومه أو وصل سن المعاش أو أصبح مقصرا فى أداء عمله يطلق علية الرصاص.؟

قال صبرى:

- **"أنا إستخسرت فيه تمن الرصاصه؟"**

قال مدير جمعية الاصلاح الزراعى حازما :

- **"اذهب فورا وخذ معك مجموعة من الخفراء اقتلوا الحمار ،نفذ الأمر ولو غلط يا صبرى ".**

ظل شيخ الخفراء يبحث عن شعيب المصرى حتى وجدوه نائما فى ظل شجرة الكافورالعتيقة فى طرف القريه، رفع شيخ الخفراء بندقيته فى وجه" شعيب" صارخا :

- **فين حمار الحكومه يا شعيب ؟**

قفز شعيب مدهوشا ومرعوبا.

فأردف شيخ الحفراء قائلا:

- **عندى أوامر من الجمعية والبيه المأمور بقتل الحمار.**

ثم أردف صارخا:

- **"الحمار ده لازم يموت،ده حمار الحكومه ومتسجل بالدفاتر إنه مات" .**

قفز شعيب المصرى يجعر كالممسوس:

- **تموتوا حمارى؟..ليه يا ضلاليه أنت وهو،،**

قال شيخ الخفراء ساخرا:

- لآن الحمار خطر ع الأمن العام والحكومه عاوزه كده 0

قبض شعيب فأسه بين يديه وهو يصرخ:

- "ما أجرب إلا إنت يا كلب الحكومة ،،

- " اتلم يا شعيب ، أحسن أقول عليك إرهابى وأوديك ورى الشمس.ثم أردف وهو يهز رأسه:

- "ماتنساش يا شعيب أنا شايفك وأنت بتصلى الفجر وعندى شهود إنك كنت بتدعى على الظالمين ،يعنى اتلم ولم الدور0"

وقف شعيب بينهم وبين الحمار مهددا متوعدا من يقترب من الحمار أويمس شعرة منه .

- "اخزى الشيطان يا شعيب . ما توديش نفسك فى داهية..دى حكومة وما فيش حد يقف فى وش الحكومه يا بنى "

جاء الشيخ قطب الطيب يجرى ،ا حتضن شعيب وهو يلتقط أنفاسه قائلا :

- "-شيخ الخفر عاوزيسرق حمارك يا غلبان الحمار ده حقك . أنت اللى عالجته وراعيته واللى يفرط فى حقه يفرط فى شرفه. إوعى شرفك يا غلبان ما تخفشى منهم ".

تحفز شيخ الخفراء وأمسك الشيخ قطب الطيب من تلابيبه قائلا

- "أنت يا شيخ زفت.ما حد عرفك عبيط ولا طيب.والله لو لم تبطل الهبل ده لاحبسك ".

قفز الشيخ قطب الطيب من بين أيديهم يجرى ويهلل:

- عاوزين تسرقوا حمار الغلبان يا شياطين الحكومه اوعى تبقى شيطان يا شعيب ..اللى يسيب حقه يبقى شيطان.

قبض شعيب على الفأس بقوه..وقف بينهم وبين الحمار .

زعق شيخ الخفراء وهو يشد أجزاء البندقيه قائلا :

- "شعيب إحنا هناخد الحمار يعنى هناخد الحمار غصبن عنك وعلشان تكون مستريح إحنا مش هنموته لأنه خساره ،،إ حنا هنسدد فى الدفاتر إنه مات ".

رفع شعيب فأسة فى غل وحشى وإستدار ناحية الحمار وهوى بفأسة على رأس الحمار بضربات سريعة وقوية ..

إرتعب شيخ الخفراء وراح يعدو وشعيب يحدق فى الدماء التى أغرقت جلبابه ثم سقط مغشيا عليه وراح الشيخ قطب الطيب يتحسس نبضه. ويصرخ:

- لاحول ولا قوة الا بالله شعيب راح يا ناس .

صرخ شيخ الخفراء :

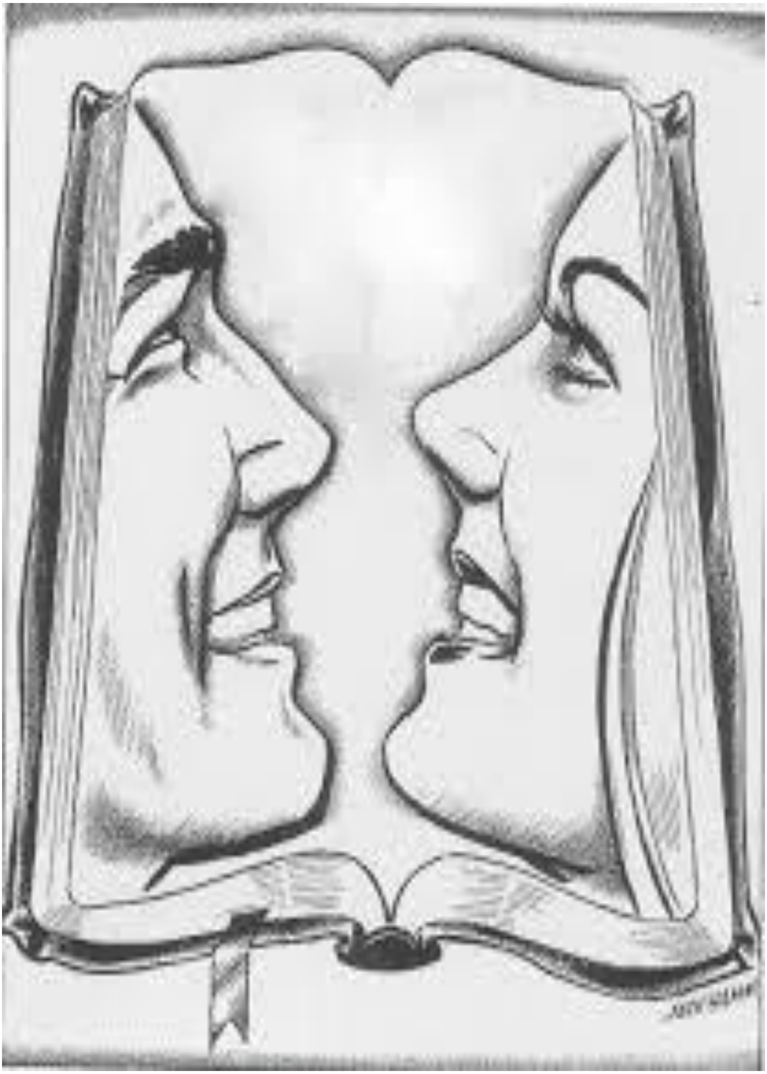
-   اطلبوا سيارة إسعاف .

جائت سيارة الشرطة .

أهالى القرية عدلوا شعيب ناحية القبلة ،جلس الشيخ قطب عند رأسه يلقنه الشهادتين،أ سبل عينيه.

التف أهل القرية حول شعيب يبكون بينما انطلقت سيارة الشرطه تحمل جثة الحمار مخلفة وراءها سحابة من الدخان والغبار.

قرية الأخماس ..1988نشرت فى جريدة النبأ المصربة



اللعب حتى البكاء

زوجتى تطعم أفراخ الحمام تسقيها بفمها وتبتسم

أصغر أبنائى يمتطى صهوتى ويضحك.

ابنتى الصغرى تدفعة لتأخذ دورها .

قلبى يصهل فرحا..صورتنا الجماعية تلمع فى عينا زوجتى .. زوجتى ترقبنا وتبتسم ابتسامة طفولية رائعة يكاد وجهها يضىء ولو لم تمسسه نار.

تتسمع ضجيجنا وكأنه أغنية شعبيه.

- أنا هعملك قهوه..الولاد صدعوك يا حبيبى .
أتأكد من إنتهاء اللعب ،أ نظر إلى صورة أمى فى البرواز القديم جدا وأبكى.

ممارسة الضحك

إستيقظ مبكرا على غير عادته . وقف فى الشرفة يتأمل مولد

الشمس لأول مره يدرك أن أسفل شرفته شجرة مورقة تعج بالزهور والطيور.

فى قرص الشمس يرى وجه حبيبته عينيها الصافيتين بلون العشب الأخضر.يسمع صوتها الملائكى يدغدغ فى رأسه. يراها باليرينا ترقص فى قلبه.تمنى لو أصبح طائرا يحلق بالقرب من شرفتها .كروانا يغنى لهاتحت ضوء القمر ،جيتارا يعزف لها أجمل الحان العالم .

لأول مرة يتأكد أن قلبه ينبض وأنه حى يرزق .تمنى أن يرقص غير عابىء بالدائنين والمتلصصين وصاحبة البيت التى تطارده كلما شعرت بوجوده "تجعر":

- "أنت يا مشف يا كحيان.أ ين الإيجار؟.فاكرها تكية،إ دفع اللى عليك،شاطر تحب بنات الناس،حبك برص ".

إنفجر فى الضحك لأول مرة يشتاق للنهر القريب من ناصية الشارع.

يسمع غناء البائعين فى دهشة ينظر إلى الشارع وكأنه يراه لأول مره.

يرى الجزار وبائعة الخبز وجميع دائنيه أقزاما صغيرة.

ملأ صدره بالهواء.

انتابتة رغبة فى المشى،إ نتزع رداء الخوف وخرج إلى الشارع ، أدرك أن صوته رخيم جدا وهو يغنى ولم يتعثر بالحفر التى تملأ الشارع والبالوعات الفاغرة أفواهها للماره ولم يبصق على سائق الميكروباص الذى أغرق ملابسة وكاد أن يدهسه.

يغمره إحساس غير عادى ورغبة فى الضحك.

يبتسم فى وجه بائع العرق سوس وأطفال الشوارع مدفوعا ببريق عينى حبيبته وصورتها تتراقص فى رأسه وعلى وجه الماء .

لم يعبأ بأصوات الدائنين من خلفه .

بالأمس أكل وحبيبته ترمس وأيس كريم وجلسا متلاصقين يشاهدان صورة وجهيهما فى ماء النهر .

اندفع ناحية النهر كالمسحور،يتسمع وشوشات الماء ووجه حبيبته يتراقص على وجه الماء.

ينتبه لضجيج ومن خلفه الجزار وصاحبة البيت وجميع دائنيه يطاردونه.

يحدق فى الماء يرى صورهم مقلوبه، يضحك بشده ،يضحك ويغوص فى الماء فارا منهم ومن ضوضائهم .

يغوص ويغووووووووص وثمة فقاعات تخرج الى سطح النهر تنفجر فقاعة تلوالأخرى ، يتابعون مشهد الغرق ويضحكون وكأنهم فاقدى الوعى.

بينما هم يترنحون من شدة الضحك يشاهدونه وقد خرج على الشاطىء الأخر وصدى ضحكاته يتردد فى كل الأرجاء.

تنتابهم نوبة من الحزن

القاهرة1994

كف الحناء

الأخماس واحة من نخيل وأعناب وعصافير تنقر التمر وتغنى للشمس.

وهداهد تنقر الطمى وتحكى للأطفال حكايات الجدود وتنقل أخبار ما وراء الحدود..ترفرف فوق البيوت الطينية التى تحمل فوق ظهورها خزين السنة من ذره وقمح وحناء وأرانب .

إمراة وجهها خارطة السنين تعجن الحناء بماء الكبرياء وتصبغ شعر البنات فيكبرن وينضجن و يغنين للنخيل فيلقى لهن تمرا طازجا ويغنين للقمر فلا يغيب عن سماء قريتنا ..وتصبغ ريش الديوك فتقوى وتضرب الأرض بأرجلها فتنبت قمحا وتصفع الهواء بأجنحتها فتسقط السماء مطرا يغسل سعف النخيل وأشجار الحناء ورؤوس البيوت.

ترفع الديوك أعرافها إلى عنان السماء مؤذنة بصوت جهورى فيهتزقلب الرجل الذى يضرب الأرض بفأسة لتنبت أشجارا. ينظر للديوك بطرف عينية فرحا.

المرأة التى تعجن الحناء وتصبغ ريش الديوك تمسك ديكا أبيضا تصبغة بالحناء .

- **لجل ما يعود الغايب.**

وجلست تضرب بكفها المخضب بالحناء بطون الأرانب..

- **"يا رب ببركة عاشوراء لايعدى اليوم إلا وأنت جانبى يا ابن بطنى "**

تقلب السماء بعينيها بحثا عن الهدهد تنتظره ليأ تيها بنبأ قدوم الغائب .

الولد العنيد الذى ابتلعتة المدينة.

كنت ألهو تحت النخيل ورأسى مصبوغة بالحناء أشاكس الهداهد اقلد أصوات الديوك.أ رفرف بزراعى فى الهواء وأدور حول أمى وهى تعجن الحناء بماء الكبرياء وتعجن كحل سبت النور. وتكحل عيون البنات والأطفال وتضحك من دموع الكحل الحراق فى عيوننا .

- **"وحق سبت النور يابن بطنى ينورلك عينيك" .**

لازال الكحل فى عينى يا أمى.أ حاول العودة لكنهن سكبن دمى فى عسل المدينة وخمر المدينة وشربنه،فحملن وأنجبن.

أمطرت الدنيا هموما وكذبا وجوعا أحمقا وشهوة. وجاءتنى الكتابة تراودنى عن نفسها وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ولما هممت بها وهمت بى حملت شعرا وأحجية وقصصا مبتورة وقصائد وألفين ملاكا لدى الباب:

.قالت "-ما جزاء من أراد بأهلك خيرا إلا أن يمجد فى الأرض"

فضحك الملاك وأهدانى قلما ثم قال:

اكتب.

..قلت أحاول الكتابة .

.قال:

"اكتب ما فى قلبك تكن ملاكا"

وجاءتنى الكلمات بنات حور فرحت أرفرف بجناحى ديك أحلق بهما فى الفضاء.أ خترق وأخترق حتى وصلت الى سماء تطوف فيها الحروف وكأنها الطير

قال ملاك اللغة:

- تقدم .

..قلت وحدى ..

قال:

" نعم أنت إن تقدمت قرأت وإن تراجعت أصابك الصمم وحاوطتك شياطين الصمت والجهل".

فتقدمت بين أمواج من ضياء والحروف حولى صفوف والكلمات حولى تطوف .أ حسست بالضعف والخواء وانتابتنى نوبة من أعياء،همست الكلمات فى أذنى.

- **أنت هدهد ضعيف.عد الى قريتك فدواؤك أن تسمع حكايات الجدود من الهداهد المصبوغ ريشها بالحناء وأن تؤذن مثل الديوك وتكتحل بالكحل الحراق وأن تغنى دائما ألف.........باء............أ لف .ميم.**

سهو

جلست أمامه ورائحة صابون غسيل الملابس تكاد تلطخ الحوائط وتصل إلى أمعائه

- "الكهربا قاطعة طول النهار ،منه لله اللى كان السبب"

.أ طفاله يجعرون:

- بابا عاوزين مصاريف المدرسة.
- عاوزين كراريس.

نظرإلى وجه زوجته التى باغتته :

- "بتبصلى كدا ليه ؟انا عيانة وبطلانة هلاقيها منك ولا من عيالك"

أحس بغصة فى حلقه وانقطعت الكهرباء مرة أخرى.

وقف ليصلى أ حس أن قطارا يمر فوق صدره. فاتورة الكهرباء. إيجار الشقة.

زوجته التى تشكى ليلا ونهارا من القاولون العصبى.

أحس ألما فى مؤخرته وفى خصيتيه.

سجد لينهى صلاته إكتشف أنه نسى التشهد.

ولما إنتهى ..إ كتشف أنه لم يتوضأ...

الملك

الملك بالديوان يراقص إمراة غجرية ،يغرق فى كأس الخمر المصنوع من كروم الشعب.زرعه أفراد الشعب ،قطفه أفراد الشعب . عصرة أفراد الشعب ..عتقة أفراد الشعب،وقدمه للملك نفر من الشعب.

الغجرية تمسك رأس الملك تنتزعها . تضعها بين النهدين ، تنتزع عمامة الملك.

وتصنع منها حزاما تشده حول عجيزتها الرجراجة التى ترج الملك فيفور الخمر برأسه..

يشتد الضرب على الدف ..الملك يترنح يهتز، يرقص ويرقص.

فى الصباح، يتوقف الرقص...الرج.

فتركب الغجرية حصانها الجامح وتجرى فوق رؤوس الشعب.

فلاش

الشمس تبتسم والبنت تراقص هواء الشارع ونسمات الشارع الفسيح،أ شجاره الحبلى بالزهور والطيور.

تتأمل البيوت واجهات المحال التجارية.الوجوه والأعين

الأيادى.

توزع ابتسامتها الطفولية على الناس.

أطفال يرتدون نصف ملابس قديمة ، حفاة تحمل أرجلهم طين ووسخ الشوارع . مصبوغة وجوههم بالألم. يشيرون اليها ويتهامسون.

إقتربوا منها وأيديهم ممدودة.

أحست البنت بالفرح. إندفعت اليهم ، ألقت يديها بين أيديهم تصافحهم.

التفوا حولها فى دائرة يرجمونها بنظرات حائرة وأيديهم ممدودة.

وانفتحت أفواههم بانكسار...



البقر

على شاشات التلفاز ترقص امرأة عارية وأشباه رجال.

ينقطع الرقص..يتبعه إعلان عن استخدام الواقى الذكرى للحماية من الإيدز.

ثم موجزللأخبار

-أمطار حمضية على الحدود الشرقية.

-ويضيف المذيع :

أن الدولة المجاورة لدولتنا تود لو تضع الحرب أوزارها .ولأنهم يدركون أن أبقار بلادنا غير مدرارة للبن.

ودليلآ على حسن نواياهم أرسلو لنا قطيع من البقر الهجن شديد الضخامة غزير اللبن.

ثم أردف قائلا .

-من المعروف أن هذا النوع من البقر يخاف من الإنسان ولا يستطيع إنسان أن يحلبه .

ومن يريد اللبن عليه أن يقلد صوت البقر وطباع البقر .

لحظات كانت الشوارع تشغى بالبشر يمشون على أيديهم وأرجلهم وأغصان الزيتون فوق رؤوسهم وصدى أصواتهم يتردد فى كل الآرجاء ....خوار

قزم

ارتفع منسوب الماء فى النهر بشكل فجائى وراحت تنحر فى الجسر بجنون وأهالى القرية فى حضن الجسر ينظرون الى النهر فى ترقب

ألا يمهلنا حتى نحصد محصول الذرة الذى مازال لبنا .

تلونت المياة باللون البنى واندفعت تملأ الترع الفرعية عن أخرها وكان خفراء الرى يجرون على الترع خوفا من انهيارها.

وكنا نجرى على السكك نطارد أسراب الناموس التى تطن فوق رؤسنا وأبى يسير على حافة ترعة تواتى يضرب منجله فى الحشائش فينغرس المنجل فى قراميط السمك التى فى حجم الاطفال الصغيرة .القراميط فى موسم الفيضان تتعارك فوق الحشائش وتتقافز فى فرح صبيانى وكنا نتقافز كلما ألقى أبى إلينا بصيده .

كانت بيوت القرية تمتلىء بالشواء ووجه أبى كان يمتلىء بالبشر والفرح.

الآن جفت الترع إ متلآت فئرانا وثعابين وسحالى. الفأر فى حجم القط.

مياة الصرف قتلت كل الأسماك .حتى النباتات والناس أصابها التقزم .

دخلت الى غرفة أمى .تأملت صورتها فى البرواز القديم كانت تبتسم

فتحت الدولاب أتأمل ملابس أبى التى مازالت معلقة..

أخذت واحدة ارتديتها كانت واسعة جدا .....نظرت وجهى فى المرآة وثمة قزم يتأملنى.

صورة

نزلت البنت الى الشارع ،الشمس تبتسم والبنت أيضا ونسمات من السعادة تغازل ملابسها وشعرها الطفولى الرائع.

تجرى ، تتأمل البيوت.واجهات المحال التجارية ..

لأول مرة بعد عودة أسرتها من أوربا تتعرف على الشوارع والناس والبائعين.تتحرك فى الشارع توزع فرحة عينيها على المارة.

تتردد فى جمجمتها الضغيرة ما حفظتة من أمها أن مصر أم الدنيا وأنها جنة الله فى الأرض وأن نيلها من أنهار الجنة .

أطفال يرتدون ملابس مرتقة. حفاه على أرجلهم تراب من زمن بعيد. عيونهم غائرة متشبسة بحفر عميقة فى وجوههم المصبوغة بالآلم.شعر رؤوسهم أشيب يحملون فى أيديهم علب فارغة ومباخر يشيرون إلى البنت يتهامسون .ا قتربوا منها وأيديهم ممدوده أحست البنت بالدهشة وبعض الفرح. اندفعت إليهم وألقت يديها بين أيديهم تصافحهم.

تراجعوا والتفوا حولها فى نصف دائره يرجمونـها بنظرات حائرة وأيديهم ممدوده. وانفتحت أفواههم بإنكسار..

عروس النـهر

السيارة تمضى مسرعة والأم تحتضن البنت فى حنو ،تحكى لها عن قريتها فى الريف البعيد . أشجار التوت الأحمر والأبيض والقمر المكتمل الذى يعشق الناس والنيل القادم من الجنة وجدتها الطيبة التى تبدر القمح للحمام وللعصافير .

قالت البنت وهى تهمس :

- أريد أن أرى النيل من هنا .

توقف الأب يلتهم البنت بعينية وابتسامة تتراقص على شفتيه .

ينزل الجميع من السيارة فوق الكوبرى الذى يقطع النيل ، يمرحون يأكلون حبات الترمس ويقزفون الحصى فى الماء ويتأملون.

قالت البنت وفى عينيها حيره

- أريد أن أرى عروس النيل يا أمى

ابتسمت الأم تحدق فى النهر.....أ ضواء القاهرة تتراقص على وجه الماء.وجثة حيوان ضخم منتفخة ومتعفنة تماما تتراقص أيضا.

سلسبيل

ملهى ضخم فى حضن النهر. موسيقى . صخب وضجيج ورنين كئوس ،عيون تحدق فى النهر وعيون تحدق فى عيون ..أ ناس يضحكون وثمة دموع.

جلسا يغوصان فى نسيم ليالى الصيف الرطبة وطفلتهما تلعب ترقص وتلهو..

أحسا بارتياح واطمئنان يتذكران ليالى الغربة الباردة والرعب فى بلاد الثلج والخنازير والشمس الآفله.

توقفت البنت عن الرقص،اقتربت من أمها

- "ماما حقيقى مية النيل سلسبيل"؟

ابتسمت الأم وهزت رأسها بالإيجاب.

جرت البنت ناحية ماء النهر القريب. مدت يديها عبر السياج واغترفت ملء يديها لتشرب .

حطت طيور الفزع على المكان واندفعت أيادى كثيرة تدفع يديها فى رعب ..

ثلاثية الدم والثلج

1- الطنين

يروح ويجئ فى نوبة حراسته. يجرى فى مكانه وكرات الثلج ترتطم بوجهه،تلتصق بملابسه كخفافيش جائعة، صوت الانفجارات فى كل الأرجاء يصم الأذان
ولايخيف الغربان التى تجعر فى أذنية .
البرد يتسلق ساقيه كا لعقارب الصحراوية
. يمسك بندقيته بين يديه. يمارس تمرين الجرى فى المكان.
جنديان يحملان كتلة من الثلج كهيئة أدمى. يجريان وجندى يوقد مدفأة بالفحم.
طبيب برتبة ملازم أول يصرخ .
- ضعوه فى حضن المدفأة ..
الثلج يذوب . يكشف عن وجه جندى يداه متشبثتان بدمية كهيئة طفل.
الطبيب يدلك صدر الجندى محاولا إنعاشه ..ينفخون فى فمه..يدفئون بطانية فاخرة يلفونه بها . يلتفون حوله فى رعب .
يفتح فمه بوهن .يهمس..

--- اريد العودة إلى ابنتى
يرتعد بشدة. يصمت . يخلع الجنود أغطية رؤوسهم..يخرج بكاؤهم من داخل الخيمة.....طنين.

2- تابوت

نفض كرات الثلج عن ملابسه. تمنى لو مات مع الأخرين. تخلص من حذائة الميرى الثقيل الانفجارات والصراخ ونعيق الأغربة ورائحة الدم المحترق..
الليل كئيب .تأمل التوابيت الثلاثة الملفوفة بعلم الوطن وعلم قوات حفظ السلام.
تأكد أن أحد التوابيت فارغ.
تذكر زميليه الراقدين فى التابوتين.
ليلة أمس كتب أحدهم خطابا لزوجته يبشرها بعودته وأكد لها أنه فى صحة جيدة وأنه أحضر لها مفاجأة وأنه اشترى لابنته قطارا كهربائيا.
لكن رصاص قناصة الصرب لم يمهله .
أحس وكأن مدية إنغرست فى صدره .
دوى صوت الرصاص غزيرا ،ا نفجارات وصراخ مدافع، سمع صرخات زملائه بمكان قريب :
-"القناصة .قتلوا القائد "
نظر إلى بندقيته الخرساء وذخيرته العمياء ويداه المتخشبتان وقائده المقتول
فتح التابوت الفارغ،أ لقى جسده داخله.
تمدد وصمت رهيب احتل المكان.

3- تجمد

الرياح تعبث بالأشجار. تمثل بأوراقها فتسقط الخضراء والصفراء تدفنها فى الثلج بلا حداد،الدخان يتصاعد من أشلاء مدينة، طائرات سوداء شرسة تطن فى السماء كطيور جارحة.
الأرض جليد ،عربات محترقة وبقايا حياة..كرات الثلج تتساقط بغزارة والبرد وحش مفترس وملابسه الميرى لاتحميه..حذاؤه الضخم التصق بالأرض والجليد..
تذكر أوامر القائد:
"مهمتكم الحفاظ على ا لسلاح والزخيرة ولاتطلق النار إلافى أخر نفس".
بصق.أ مسك بندقيته فى تمرد.صرخ :
- لماذا جئنا..؟
أحس بثعابين البرد تلدغ أطرافه...تذكر أوامر القائد :
- "هنا غير مصر،البرد هنا بيموت ، كل واحد فى نوبة حراسته ، يتحرك ، يجرى فى مكانه كى لايتجمد".
استجمع قوته..ا نتزع قدميه من الثلج يحدق فى بقايا لوحة معدنية محترقة وصوت أمه يرن فى أذنيه:
"روح يابن بطنى إلاهى ترجع بألف سلامه".
تذكر زوجته تداعب ابنته الوحيدة وهى تلهو بعروستها تحت شمس القاهرة الحنون..

نظر إلى السماء..غيوم سوداء تزمجر وشمس تحتضر لاضوء ولا شفق..
أذهله انفجار رهيب ،حدق مشدوها ورائحة الموت تملأ المكان تكاد تفقده وعيه.
ترنح متشبسا بالأمل .أ خبره القائد أنه غدا سيذهب للراحة فى سرايفو وبعدها يعود للقاهرة..لقضاء إجازته.
أحس أنة فقد بصره،طيورا سوداء تتخطفه ورائحة اللحم المحروق تخرج أحشائه .
يفتح عينيه بصعوبه،رؤوس بلا بشر وبشر بلا رؤوس ،سيقان بلا أحذية وأحذية بلا سيقان ،بيوت بلا بشر ولعب بلا أطفال وهياكل عظمية تتأود.أ غمض عينيه لحظة.
سقطت بندقيته على الأرض.....غطاه الثلج تماما.....تجمد.



الغناء فى قرص الشمس

تصحو حبيبتى وتوقظنى،تغمس أحلام الليل الوردية فى النهر الصافى، تمد يديها لتسقينى وتشرب .

تصب الماء تحت جذور شجرة الليمون المورقة المليئة بالزهور، تدور حول شجرتها فى صمت وكأ نها توقظها تمعن النظر إليها فتتفتح كل زهورها وتشدوا كل طيورها..تهتز الأغصان لتوزع عبيرها حول خصر حبيبتى..فيبعثر الهواء شعرها المخضب بالحناءوالندى .

رائحة زهور الليمون فى الصباح تملأ المكان وعطر حبيبتي يعطر قلبى طوال اليوم ويغرقنى فى المساء .

السمش تشرق على وجه حبيبتى ..وجه حبيبتى مشرق مشرق عيناها معلقتان فى قرص الشمش وكأنها تنظر فى مرآة.

الشمس مرآة لحبيبتى.

وجه حبيبتى أبيض أ بيض وزهور ليمونتها بيضاء بيضاء .

السماء عند الصبح صافية زرقاء ،عيون حبيبتى زرقاء جدا.

قالت وعيناها فى قرص الشمس :

- أه من الشمس.أ حبك وأحب الشمس وأحب الغناء
- خرافية أنت ،ملاك من السماء يسكن قلبى.

أحبك هكذا .تعشقين الشمس وأنا أيضا أعشقها لأنك أنت الشمس.

.قالت :

- أجميلة أنا؟

قلت:

- وردة نبتت من أرض النيل، كلما أنظر إلى وجهك أرى كل شموس العالم وأقمار العالم والنجوم.

كلما أنظر فى عينيك أرى كل بحار العالم سماواته، فى عينيك أرى العالم .

قالت :

- أتتذكر زهور عباد الشمس فى غيطان قريتنا؟

أوووه ماأحلى ذكريات الطفولة ..قالت ذلك وهى تحنوعلى جذع ليمونتها .

- عندما كنا صغارا عرفت أنك تحب ز هور الليمون..كنت أقطفها لك

قلت :

- **وعرفت أنك تحبين زهور عباد الشمس .كنت أقطفها وكان أبى يضربنى كلما ذهب إلى المزرعة ووجدنى أقطف زهور عباد الشمس الصغيرة من أجلك ..**

قالت:

- **سر حبى لزهور عباد الشمس لأنها مثلى تحب الشمس وسر حبى للشمس أننى أراك فيها.**

الشمس تعطينا الحياة وأنت تعطينى أجمل ما فى الحياة

قلت:

- **أحبك وسر حبى لزهور الليمون أن فيها رائحتك وفيك رائحتها.**

هواء الصبح العليل يداعب شعر حبيبتى والطيور تداعب أغصان الليمون والفراشات أيضا والطيور التى صحت من نومها تدور حولنا.

تطير ثم تحط ثم تطير وتغنى .

بزغت الشمس تماما، نظرت الى وجه حبيبتى المشرق كانت تغنى.

أحسست برغبة فى المرح ....تمنيت لو أجيد الغناء.



إمرأة وأشياء أخرى

العجوز المتصابى الذى تفتح لوز القطن فى رأسه المستطيلة،كل يوم يمسك فرشاة الخداع ويصبغ هذا القطن الردىء ،لايهم كرشه المنتفخ لأنه ملفوف بقميص من الحرير الخالص.

عندما يمتد عمر الأشجار تتقوس وتتساقط أوراقها ،هذا العجوز لايتقوس أبدا،رزم اوراق البنك نوت فى جيوبه تجعل ظهره مستقيم وبشرته بلا تجاعيد.

له فيلا وحديقة خاصة بها كل أنواع الورود والزهور وحتى الطيور والقرود، دائما يزاحمنا فى الحديقة العامة الوحيدة التى نتنفس بها يغافلنا وينتقى أجمل الورود.

الجوصحو وكلما رأيت هذا المتصابى اشعر أن كل شيىء بالحديقة غير عادى، الأزهار بكل اشكالها والوانها كلما أحاول الإقتراب منها تبدأ فى القصر فأبدأ فى الإنحناء حتى تصل يدى إلى الطين والروس ويصطدم أنفى بالكلس والأزهار اليابسة، اما العجوز المتصابى كلما دخل الى الحديقة وقبل أن يفكر فى

الإنحناء تبدأ الأزهار تعلوا وتعلو حتى تصل إلى أنفه وتغطى بدنه وعنقه وجيوبه الدافئة بالنقود

**

جلست فى انتظار حبيبتى"وردة"

بالأمس عندما تواعدنا قالت :

_ احبك يا صابر احبك بجنون

قلت وقد سرت فى بدنى رعشة نشوى وأحسست انى صقر أحلق فى الفضاء الرحب.

قلت :

-وأنا أيضا احبك ،. احبك حتى الموت ومن اجلك سأ فعل المستحيل.

لقد صدق من سماها "وردة" كلما انظر فى عينيها أرى كل زهور الدنيا تتفتح وتبتسم وكل الطيور تغنى وترقص وأشم رائحة العبير مع الهواء وأراها ملاكا جميل" وردة" تفتحت كل زهور العالم فى وجنتيها.

بالأمس لم يكن معى سوى تذكرة الأتوبيس، اليوم سأشترى لحبيبتى "ترمس" ونشرب معا زجاجتىن من البرتقال ونأكل أيس كريم ،

لم تعد ثمة مشكلة فقد اقترضت من صديق لى بعض النقود.

****

كانت الساعة الخامسة مساء وضوء الشمس الذهبى الساقط فوق نافورة الحديقة يحول مياة النافورة إلى حبات من البلور الطائر فى الوان غير عادية وعندما دسست يدى فى يد حبيبتى تملكنى إحساس غير عادى .

الهواء الرطب يدور فى حلقات حول عنقى وحول خصر حبيبتى التى تبتسم فتتفتح الزهور تفتحا غير عادى وترقص الطيور رقصة غير عادية،

الوقت يمر بطيئا كقطار متعب وانا انتظر على جمر حتى لمحتها قادمة بين الأشجار كغزال شارد .

:-وردة لماذا تأخرتى؟؟؟؟

تنهدت :

- المواصلات.

كم اتمنى لو امتلك سيارة صغيرة ترحما .
فى تلك الحظة أحسست أن السنين تفر من بين أصابعنا وأننا فى زمن غير عادى .
السيارة الشبح السوداء تقف فى ردهة الحديقة القانون لايمانع الأمن لايمانع .
الشمس تبدأ فى الانحدار ناحيتة الغرب مودعة اشجار الحديقة وطيور الحديقة وضيوف الحديقة،تبدأ فى الاختفاء شيأ فشيئا حتى تختفى تماما خلف زجاج السيارة المعتم .
العجوز المتصابى يمسح وجهه بمنديل معطر تصل رائحته حتى أنفى.
مياه النافورة تعلو وكأنها تنحنى ناحية ذالك الرجل ،هواء الحديقة ينسل من حول عنقى فاشعر بالإختناق.
العجوز المتصابى يوزع نقوده على كل من فى الحديقة ،.
نظرت فى عيون حبيبى لاستريح فى موجهما الهادىء الصافى ..قالت وهى تحدق فى فى وجهى بشكل غير عادى، :
_هه ماذا ترى؟؟
دهستنى الدهشة وقلت :

_ارى فى عينيكى الدنيا ،البحر والسماء.
تنهدت وكأنها تسبح فى بحر من الهم :
-البحر الذى تتحدث عنه سنموت غرقى فى سرابه ،وهذه السماء لن ترحم ضعفنا وحاجتنا فى ليالى الشتاء.

قلت محاولا اصلاح الأمر:

- **سوف ينصلح الحال فنحن فى مقتبل العمر.**

العجوز المتصابى لوح لى بكفه واخرج رزمة من النقود ليوزع هباته على الأمن وفتايات كثيرات يرفرفن بالقرب منه .

قالت "وردة وهى ترقب ما يحدث ":

_ نحن فى زمن أغبر لايعترف إلا بالكبار وعلى الصغار أن يبحثوا عن وطن آخر .

قلت وقد وصلتنى رسالتها:

_ ساسافر ،لقد جهزت أوراق السفر وعندما أعود لن تكون ثمة مشكلة ، سأفعل المستحيل من أجلك يا نورعيونى .

قبضت على يدى وعينيها هناك عند ذالك العجوز وقالت

- **العز يشترى كل شيء**

وكأن سكينا انغرس فى صدرى ، إبتسمت محاولا إخراجها من دوامة الحزن ،لكن ذالك العجوز كان يلوح لنا يكفه وكأنه يعرفتى أو يعرفها .

****

فى اليوم التالى عندما تقابلنا فى الحديقة كما تواعدنا أن نتقابل قبل الغروب ،كانت غيمة كثيفة تظلل قرص الشمس ،أحسست بنشاط غير عادى وعندما وجدت حبيبتى هرولت اليها فرحا :

متى وصلتى ؟؟

قالت بصوت مهزوم :

_ تعبت ، تعبت جدا

إخترق أُذنى صوت غراب يصيح وأنا أخاف من الأغربة فى بالنسبة لى نزير شؤم.رحت أقلب نظرى بين الأشجار ضوء الشمس المنعكس من زجاج السيارة السوداء أزعجنى

،نفس السيارة ونفس العجوز المتصابى يلوح لنا ويبتسم وحبيبتى زائغة العينين قلت لها :

_يبدو أنك تعبت فى المواصلات ؟؟

قالت بصوت وكأنه بكاء :

_ من اليوم لن أتعب فى الموصلات .

كان العجوز المتصابى يبتسم إبتسامة غير عادية ويلوح لى أيضا ..وعندما فتح السائق باب السيارة .

قالت وردة وكأنها تذكرت شيء مفاجىء:

لابد أن أنصرف .

قلت :

هل أنت متعبة؟؟

قالت :

_ جداااااا ثم أردفت :

- جهز أوراق السفر وابحث عن بلد تستطيع العيش فيه .

كان العجوز لازال يبتسم فى خُبث وعندما نظرت إليه جيدا وجدت صورة جبيبتى فى مرايا نظارته.

تظاهرت بالإنصراف،وعندما تحركت السيارة نظرت من خلف سور الحديقة ،كانت صورة حبيبتى فى مرايا سيارته السوداء.......

القاهرةنوفمبر1994

هزيمة آخرى

غالبا ماتموء القطط فى ليل قريتنا.

إذا إجتمعت القطط الغريبة تتشاجر فتفزع العصافير الهاجعة على أغصان الأشجارفى الشوارع..

كل يوم يحدث ذلك المشهد فيفزعنى عراكهم وخوف العصافير وفرارهم..

أفتح شباك غُرفتى وأُحاول ..أُحاول أن أجمع كل كلاب الحى الشجعان كى أتخلص من القطط وعويل القطط.

أتحسس جسد أمى كى أتاكد من نبض حياتها وهى نائمة تحت الغطاء كملاك أبيض سمين..ذلك الوجة المدور كالقمر المشوب بالحمرة. إبتسامتها الحلوة.

كانت تجمع نساء القرية.تمسح دموعهن بكفها المخضب بالحناء. تهدهد أطفالهم تطبع فى عيونهم بالكحل الحراق حب الوطن.

توقف النبض تماما ،غلف لون الشمع وجهها.

غاصت القرية فى صراخ وعويل غطى على صراخ القطط .

عويل القطط وصراخها قتل أجنه العصافير فى أعشاش قريتنا،قتل الأحلام .

هجت العصافير من أشجار قريتنا وعششت فى صدرى وباضت خوفا وألما وكرها شديدا لتلك القطط الغريبة المسعورة .

افتعلت عشقى للكلاب وأويت فى بيتى كلبا أجنبيا وعاهدته ليحمينى.

أخذ مقابل تلك المعاهدة معظم دخلى الشهرى.

إمرأتى استغنت بفرائة الوثير عن جسدى.

نفد البرد إلى عظامى .إ لى النخاع.

توحشت العصافير فى صدرى وفى جمجمتى تنقر فى النفوخ ،تصرخ:

- اطرد الكلاب . اطردها من قريتنا.

خرست القطط تماما . أكلت السنتها .

خرجت الفئران من جحورها ،توحشت وراحت تنهش فى الأشجار وأعشاش العصافير، حتى العلم الوحيد الذى رفعناه فوق مدرستنا أكلته.

أدهشتنى الصدمة.

الفئران تلتهم القطط فى شوارع قريتنا والكلب الأجنبى الذى جلبته وأطعمته يلعق الدم ويزمجر، يتسلق أشجار القريه يأكل العصافير ويلقى بقاياها للفئران.

حينما أفقت وفهمت غلطتى وقررت التخلص من ذلك الكلب .

دلفت إلى غرفتى لأحضر عصى أهشه بها وجدت الغرفة تشغى بالفئران التى أكلت كل شيء حتى بطاقة هويتى،

إستدرت هاربا من الفئران .

عند الباب الموصد وجدته .

جاسما فوق صدر زوجتى مكشرا عن أنيابه يزووووم...

القاهرة 1994 اكتوبر



ممارسة الموت

مالت الشمس للغروب وكل المزارع القريبة من الطريق الصحراوى لفظت عمالها فعادوا إلى بيوتهم فى القرى البعيدة.. اشتعل الشفق فزاد دمى المسكوب على الأسفلت إحمرارا وهرول الليل ماردا مرعبا فاردا عباءته السوداء على كل الأشياء ..هسيس

الصحراء نداء للهوام والثعالب التى أتت تتقافز حول سيارتى المعجونة بلحمى ودمى ترفع أفواهها للسماء وتصرخ وبعض القطط المضاءة عيونها تلتهم فتافيت مخى المطرطش على الأسفلت

وزجاج سيارتى، وروحى تتتأمل جسدى الممزق . أتحسس أعضائى الباردة ، الكبد محشور بين عظام السيارة غارقا فى البنزين والزيت والقلب توقف تماما.،أ بحث عن لسانى فأجدة قطعتين بين أسنانى .

تمر سيارة فتغسل عجلاتها بدمى وتتوقف أخرى ترعب بضوئها

وجه ليل الصحراء.

رفرفت روحى فرحا ،أ خير ا جاء أحد لمساعدتى ..

نزل من السيارة امرأة ورجلان:

- حادثة

المرأة تسد أنفها فى فزع وتعود إلى داخل سيارتها

الرجال وقفوا للحظات يمصمصون شفاههم وينظفون أحذيتهم

بقرف ثم يدلفون الى سيارتهم ..

- دوس بنزين

سيارتهم تنفس دخانها فى وجهى ،ويعود الليل بوجهه الجهم

وترقص الثعالب النهمة وتدور حول سيارتى.ارتعب.اشعر بالخوف

على ماتبقى من جسدى.

الثعالب تخربش فى عظام السيارة .تحفر فى جمجمتى بحثا عن ما تبقى من مخى .

من قلب الظلام يخرج شاب ملابسة مهترءة .يمسك بين يديه شعلة

نار يقترب من جثتى ،يتأمل أدوات الطب المبعثرة ..

سرنجات،زجاجات جلوكوز وبعض أكياس الدم المحفوظ

وسماعتى الطبية وعلبة واقى ذكرى مما يستخدمه الرجال .يتأمل بطاقتى الشخصية.

دكتور ....جراحة ....زميل كلية .... ..بريطانيا ماجستير فى علم الأمراض .

يحدث نفسه مدهوشا .

- دكتور ..دكتور جراحه

يرفع ملابسة كاشفا عن جنبه، يتحسس الجرح الذى قسم جنبه إلى

نصفين وكأنة مجنون ، مد يده يقلب جسدى ..غرس يده فى جنبى

وأ مسك إحدى كليتى ..إ نتزعها ..لملم الأدوات المبعثرة على

الأرض وأكياس الدم وأطفأ شعلته فى دمى وتاه فى الظلام ..

سيدة الحزن

يداعبها فتزوم كخرساء..يضاحكها فتصمة بالتفاهة والنقص.يحاول رسم الابتسامة على وجهها بألوان من المرح فتلطخ وجهها بتكشيرة الأرنبة الحبلى المريضة بالحكة وتزوم فى تحفز ككلب يترقب من يقذفه بحجر.

حاول أن يزرع فى قلبها روح الحياة لكن جسدها المادى لم يستجيب والقلب توقف تماما...صرخ فى وجهها فتوضأت بالرعب وفردت لة سجادة التودد..أ عجبة إعتناقها للرضا وراح يفتش فى حياته عن شيء ينبت ابتسامتها الذابلة ..فقط تبتسم فى خبث وهو يسلمها مرتب الشهر .

تحصى المرتب وتشم النقود يتورد وجهها وتبتسم فى خبث. يغمره الفرح للحظات . تقذفه بكلماتها المغبرة بتراب الطمع .

(هى دى فلوس..ولا دة مرتب ...بختى ونصيبى ....كل النسوان إتستتوا إلا أنا.)

وتتنهد تنهيدة طويلة وكأن روحها ستفارقها ..

يرمقها ببغض .يتسحب الى غرفته يلقى جسده المهدود على سريره المترب بالنكد . يحاول جمع فتات قلبه المكسور كزجاجة البلور . يتحسس قطع قلبه والدم الفائر فى عروقه يلدغه كثعابين وحشية .

يكلم نفسه كالمجنون . لماذا نحيا نطارد سعادتنا وتطاردنا تعساتنا . يدفس وجهه فى الوسادة متمنيا زيارة خاطفة من عزرائيل.ليخلص روحه التى ترفرف فى صدره وأسئلة كثيرة تزاحمها .

تتسحب الى سريره .تندفس فى صدره .

(ايه هتنام ...دة وقت نوم ؟؟؟)

وتفرغ سلة تفاهتها فوق رأسه ..

ينفجر الصبر المحشور فى صدره.

يصرخ "عاوز انااام ".

صرخاته ترج الغرفة وتشيع العتمة .

يختفى آخر خيوط الضوء

وينفذ ما بالغرفة من هواء .

خيوط الشمس

كنت صغيرا ، مشاكسا " رحمة الله عليكى يا أمى "..

اتذكر ذلك الشتاء والغيوم

الشتوية تطوف فى السماء ترسم أشكالا خرافية وأمى تضرب الأرض بالفأس وتضحك..

- **"أبوك الله يرحمه كان نفسه يجيب لكم نجمة من السما "**

كنت ألهو بفأس صغيره وأمى تضحك """

- **الحمد لله الشمس بدأت تظهر "**

نظرت إلى السماء كانت خيوط من الشمس ترش الضوء على رؤوسنا .

قلت لأمى أين ذهب أبى ؟

قالت وهى تشير نحو السماء .

- **هناك**

نظرت إلى جوف السماء ..الغيوم الشتوية تجاهد لحجب ضوء الشمس تنذر بقدوم المطر .

تذكرت وجه ذلك الذى يشبهنى تماما ..الموجودة صورته بالبرواز المعلق فى غرفة أمى .كنت صغيرا جدا حين ذهب ولم يعد .

اشتقت كثيرا لرؤيته .كنت كلما أسأل أمى تقول إنة ذهب هناك وتشير ناحية السماء ..وتقول لنا إنه ذهب ليحضر لنا خيوطا من ضوء الشمس ليربطها حول معصم كل منا لتضيىء لنا الطريق وتحمينا من وحوش الظلام ..

أه يا أبى كل يوم تهبنا الشمس خيوط الضوء ترشه على وجوهنا حتى إنها نحتت أشكالنا فكبرنا وصرنا نشبه صورتك التى بالبرواز تماما

حـــــــارس الليل

"قوم نام يابنى بقينا فى نص الليل"

"-نام أنت يا زوج خالتى"

يرد "صابر "فى قرف:

"- يابنى قوم نا م علشان تروح شغلك فايق"

- "نام أنت إحنا الليل علمنا السهر مش إحنا اللى بنحرسكم هههههه.نام وأنا هحرسك الليلة دى يا جوز خالتى"

وعند الفجر يرتدى ملابسه ويضرب الأرض بحذائه الميرى فيوقظ كلاب القرية وبعض أهلها الذين ينظرون إلى مؤخرته ويبصقون وعند عودته عصرا يوزعون عليه ابتسامتهم الباهتة ويوزع عليهم علب السلامون وصابون الميرى وبعض الأشياء التالفة والتافهة.

....

متهالكا يسير ,ينادى بصوت واهن يطلب من زوجته طعام الغداء.

"حميد ة" تضع أمامه أطعمة لم يعهدها .سلامون وتونة وأشياء أخرى.

يرمقها بعينيه الضيقتين:

- أكيد الحاجات دى من الزفت إبن أختك .

حميدة تزوم.. :

"-- حارس إبن اختى مش زفت .هو عيبه أنه بيحب خالته وبيودها"

.-- الله هو الغنى ..الحاجات دى بيسرقها من الجيش .يعنى حرام.

حميدة تزوم بينما ينسل زوجها يدخل إلى غرفة ابنته مناديا

- "بت يا وحيدة ..انتى لسة نايمة"؟؟

يربت على كتفها ..تفتح عينيها التى حولتها الدموع إلى لون الدم

يغمغم متسائلا:

"وجع بطنك دا يا وحيدة واجع قلبى يا بنتى"

وحيدة تدفس وجهها فى الوسادة الرمادية و تبكى..

....

فى أى مكان يذهب .النظرات مصوبة إليه يتهامسون .

كثر سرحانه وراح يهزى بكلمات غير واضحة المعنى

بطن "وحيدة" بالون ينتفخ ..وبطن الأم أيضا.

زوجته تأكل الطعام الميرى الذى يجلبه لها "الحارس "ابن أختها

- "تعالى كل يا أبو وحيدة بر نفسك ياراجل"

ينظر إليها فى قرف.

-"كلى إنتى كلك قطر سكة حديد إنتى وابن أختك"

تردفى برود:

- "بعيد الشر عليه داهوا اللى بيحرسنا وعمل لينا حس فى البلد"

....

صوت حذائة الميرى يهز البيوت الطينية القميئة .

مندفعا يدفع الباب بحذائة الضخم.متجها الى غرفة البنت

خالته تدفعه تنهره :

- "رايح فين ??..أبوها هنا "

يلقى فى وجهها حقيبته الميرى الحبلى بعلب التونة .

يدفعها فتسقط على الأرض ,يتخطى جسدها مندفعا إلى غرفة "وحيدة"

بينما كانت "حميدة "تحاول النهوض وجدت زوجها يمتطى جسد الحارس "وقد قطع عنقه من الوريدإلى الوريد"....



وغاب القمر

كلما أنظر فى المرآة أجده هناك...قابعا ينتظرنى... يمد يده المرتعشة يقتلع شعرة بيضاء فى شاربى ،يراودنى عن نفسه .يحكى بشغف عن أيام عنفوانه وشبابه, يهم بى وأهم به ...أفيق على ابتسامتها وكفها الصغير على خدى:

-"بابا ... ماما وحشتى هى مش هاترجع تانى؟؟"

اتظر إلى صورتها فى البرواذ المعلق على الحائط

ترجنى كلماتها وهى تحتضر:

خلى بالك من قمر ...لو بتحبنى..؟؟

غابت وغاب القمر من ليالينا..

- "بابا تلعب معايا كوتشينة"

تتشبس بيدى, تشدنى.

أتبعها فى فرح طفولى وأتركه وحيدا منزويا فى داخلى يفتش عن ضوءالذكريات.

المؤلف فى سطور



رشاد عطيه غريب الدهشورى

وهو موظف بوزارة الموارد المائية والرى

عمل بالهيئة المشتركة لقطاع مياه النيل بجمهورية السودان

ويعمل حاليا بالإدارة العامة لرى غرب البحيرة بهندسة رى الخطاطبة .وهو من مواليد 1/23/ 68 قرية الاخماس. مركز السادات .محافظة المنوفية

ومن أعماله الأدبية

1-هتافات التورة .ديوان شعر بالعامية المصرية صدر الكترونيا

2-آخر ورقة .ديوان شعر بالعامية المصرية

3-كف الحناء..مجموعة قصص قصيرة

4-حكايات الصمت والعطب.قصص قصيرة

5-خط احمر ديوان شعربالعامية المصرية ..

محتوى الكتاب